المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.59151/.v8i2.377

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 18-2-2024
تاريخ القبول: 1-5-2024

دورية نماء
فصلية محكمة متخصصة في الدراسات الإسلامية والإنسانية

منهجية استكشاف المعنى القرآني عند طه جابر العلواني (1935 – 2016)

عز الدين بن محمد حدو[1]

haddouazeddin123@gmail.com

ملخص:

يهدف البحث إلى استعراض المنهجية الحديثة في قضية «كشف المعنى القرآني». من خلال التركيز على فكر أحد أعلام القراءات الحديثة: طه جابر العلواني، لما يحتله فكر الرجل من موقع خاص ضمن هذه القراءات، وباعتباره أيضًا أحد الأعلام الأوائل الذين سبقت أقلامهم إلى مناقشة القراءة المنهجية القرآنية، بتوظيف منهج وصفي تحليلي لقراءة وتحليل منجزه الفكري، ذي الصلة بمنهجية قراءة وتفسير النص، لمعرفة ما يمكن أن تقدمه هذه المنهجية بوصفها رؤية بديلة لاستكشاف المعنى القرآني. من خلال مبحثين اثنين: الأوّل حول مراجعات العلواني لعلوم القرآن التراثية، والثاني حول معالم منهجية كشف المعنى القرآني عند العلواني. ومن جملة نتائج هذا البحث أن العلواني -رحمه الله- يتجاوز التعامل التقليدي مع القرآن الكريم إلى منهجية جديدة تخدم كتاب الله في وحدته الكلية، وفي علاقته مع حركة الإنسان والكون، فنجده بذل جهودا كبيرة في مراجعة علوم القرآن وتنقيتها، والتي يراها قد حجبت عالمية الخطاب القرآني. وبالتالي؛ نكون مع رؤية تفسيرية تجديدية للنظر في آيات القرآن الكريم وسوره، بمنظار الوحدة البنائية والجمع بين القراءتين، غايتها فهم وخدمة المقاصد الكلية للقرآن الكريم، والعمل على تمثلها وتحقيقها في حياة الفرد والمجتمع.

كلمات مفتاحيـــة:

استكشاف المعنى؛ علوم القرآن؛ التفسير؛ جابر العلواني.

(1) باحث في علوم القرآن وعلوم التربية، أستاذ زائر بالمدرسة العليا للتربية والتكوين -جامعة محمد الأول/المغرب.

للاقتباس: محمد حدو، عز الدين، منهجية استكشاف المعنى القرآني عند طه جابر العلواني (1935 – 2016)، مجلة نماء، مركز نماء، مصر، مج8، ع2، 2024، 100 - 119.

© نشر هذا البحث بموجب ترخيص (CC BY-NC4.0) المفتوح، الذي يسمح لأي شخص تنزيل البحث وقراءته والتصرف به مجانًا، مع ضرورة نسبته إلى صاحبه بطريقة مناسبة، مع بيان إذا ما قد أُجري عليه أي تعديلات، ولا يمكن استخدام هذا البحث لأغراض تجارية.

OPEN ACCESS
Received: 2024-2-18
Accepted: 2024-5-1

دورية نماء
فصلية محكمة متخصصة في
الدراسات الإسلامية والإنسانية

Methodology for Exploring the Quranic Meaning according to Taha Jaber Al-Alwani (1935 – 2016)

Ezzaddin Bin Mohammed Gaddou[2]

haddouazeddin123@gmail.com

Abstract

The research aims to review the modern methodology in the issue of 'revealing the meaning of the Qur'an' by focusing on the thought of one of the significant figures of modern readings, Taha Jaber Al-Alwani, because his thought occupies a special position within these readings and is considered one of the first scholars who applied the systematic reading of the Qur'an. The researcher employed a descriptive-analytical approach to read and analyze Al-Alwani's intellectual work, related to the methodology of reading and interpreting the text, to find out what this methodology can offer as an alternative vision for exploring the Qur'anic meaning. It is divided into two sections. The first is about Al-Alwani's reviews of the traditional Qur'anic sciences, and the second is about the features of the methodology for revealing the Qur'anic meaning. Among the results of this research is that Al-Alwani goes beyond the traditional dealing with the Holy Qur'an to a new methodology that serves the Qur'an in its total unity and its relationship with the movement of man and the universe. So, we find that he made great efforts to review and purify the sciences of the Qur'an, which he believes have obscured the universality of the Qur'anic discourse. Therefore, we are with a renewed interpretive vision to look at the verses and surahs of the Holy Qur'an, from the perspective of structural unity and combining the two readings, whose goal is to understand and serve the overall purposes of the Holy Qur'an, and work to represent and achieve them in the life of the individual and society.

Keywords:

Exploration of Meaning; Quran Sciences; Interpretation; Jaber Al-Alwani.

(2) Researcher in Qur'anic Sciences and Educational Sciences, visiting professor at the Higher School of Education and Trai ning - Mohammed I University/Morocco.

ite this article as: **Mohammed Haddou, Ezzaddin,** Methodology for Exploring the Quranic Meaning according to Taha Jaber Al-Alwani (1935 – 2016), Journal of Namaa, Nama Center, Egypt, V 8, issue 2, 2024, 100 - 119.

© This research is published under an open license (CC BY-NC 4.0), which allows anyone to download, read and use the research for free, provided it is properly acknowledged, indicating if any modification has been made to it. This research shall not be used for commercial purposes.

مقدمة

يعد موضوع تفسير النص القرآني ومنهجيات استكشاف معانيه، من الاهتمامات العلمية والفكرية للدرس القرآني المعاصر، وقد فرضت القراءات الحديثة نفسها ضمن دائرة هذه المنهجيات باعتبارها رؤية تجديدية في قراءة النص، بطرحها لمنهجية تتجاوز التقليد الذي يقف عند مدونات التفسير التقليدية، والمناهج الموروثة.

وللأهمية الكبيرة التي تكتسيها عملية استكشاف المعنى ضمن حقل التفسير، سنستعرض في هذه الورقة العلمية للمنهجية الحديثة في قضية كشف (المعنى)؛ طبيعته، ومنهج تحصيله. وذلك من خلال التركيز على فكر أحد أعلام هذه القراءات الحديثة: طه جابر العلواني (1935- 2016) ﷺ، لما يحتله فكر الرجل من موقع خاص ضمن هذه القراءات، وباعتباره أيضا أحد الأعلام الأوائل الذين سبقت أقلامهم إلى مناقشة القراءة المنهجية القرآنية، عبر قراءة وتحليل منجزه الفكري، ذي الصلة بمنهجية قراءة وتفسير النص، لمعرفة ما يمكن أن تقدمه هذه المنهجية بوصفها رؤية بديلة لاستكشاف المعنى القرآني.

فما موقف الرجل -رحمه الله- من المنهجيات القديمة في بيان المعنى القرآني؟ وما موقفه من العلوم التي كانت سبيلًا في تحصيل هذا المعنى؟ وما معالم رؤيته التجديدية في قراءة النص القرآني؟

الإجابة عن هذه الأسئلة تمكننا من تحقيق ثلاثة أهداف كبرى، وهي:

- بيان موقف العلواني من علم التفسير، وحاجة القرآن إليه.
- موقفه -رحمه الله- من بعض علوم القرآن التراثية.
- إبراز منهجية العلواني في قراءة النص القرآني واستكشاف معناه.

والبحث يسعى إلى مناقشة قضية استكشاف المعنى القرآني عند العلواني، وموقفه من بعض العلوم التراثية، وانتقاداته لبعض قضايا هذا التراث. لذلك اعتمدت في دراسة قضاياه على: الوصف والتحليل.

أما فيما يتعلق بالدراسات السابقة المنجزة في موضوع: «منهجية طه جابر العلواني في بيان المعنى القرآني» فأكاد أجزم أنها منعدمة -حسب ما بلغنا من البحث-، باستثناء دراسة موسعة لفكر الرجل أنجزها الباحث: التيجاني عبد القادر حامد بعنوان: «رحلة في فكر ومنهجية طه جابر العلواني»، تناول في عنصر صغير منها «منهج العلواني في التفسير»، فهو على أهميته، إلا أنه جاء مختصرًا جدًّا، ونراه لا يفي للمسألة حقها، خاصة أن الحديث عنه جاء ضمن مؤلف تناول مشروع العلواني بشكل عام وفي قضايا متعددة.

فأسئلة البحث، وباعتماد المنهجية الموظفة فيه، هي ما سنحاول الإجابة عنه في هذه الورقة

بإذن الله تعالى، اعتمادًا على ما وصلت إليه أيدينا من نصوص العلواني عليه رحمة الله. نتدرج في عرضها من المستوى النظري الذي نعتبره تمهيدًا لا ينفك عن بيان منهجية العلواني في التفسير، إلى المستوى التطبيقي الذي نعمل فيه على إبراز هذه المنهجية مع استحضار نموذج تطبيقي لها.

ويكون وفق خطة البحث الآتية:

- **مقدمة**؛ تضم أهمية الموضوع وأهدافه، ومنهج الاشتغال عليه، وطبيعة البحوث المنجزة حول:
- **محور أول**: مراجعات العلواني لعلوم القرآن التراثية.
- **محورثانٍ**: معالم منهجية كشف المعنى القرآني عند العلواني.

خاتمة: نتائج وتوصيات، وبعض القضايا التي أثارها البحث، وتحتاج إلى المزيد من الجهد البحثي.

المحور الأوّل: مراجعات العلواني لعلوم القرآن التراثية

إن رحلة البحث في فكر العلواني وتحليل خطابه، تصل بنا إلى خلاصة عامة، مفادها: أن القضية الأساس التي تشكل عليها فكر الرجل، قائمة على ضرورة إعادة النص القرآني إلى ساحة البحث العلمي، وإعادة الحاكمية له، باعتباره النص المؤسس، والمقصد الذي أُسِّسَت لأجله العلوم الشرعية. وقد أكد في أكثر من موضع على ضرورة مراجعتها ضمن مشروع إسلامية المعرفة، الجامع بين قراءة: كتاب (الوحي) (القرآن الكريم)؛ التي ترشد إلى قراءة الكون وفهم سننه، وقراءة كتاب (الكون)؛ التي تهدي إلى فهم آيات كتاب الوحي ومتشابهاته.

فالعلوم الشرعية من منظور العلواني، بالرّغم من كونها أسدت خدمة جليلة للقرآن الكريم، ولا سيما علوم عصر التدوين (مباحث علوم القرآن)، التي يراها فهمًا وفكرًا تاريخيًّا، مركبًا ثقافيًّا، نشأ في بيئة لها خصوصياتها (فعلى سبيل المثال: في عصر التدوين كانت العقلية البلاغية اللغوية هي السائدة. لذلك اعتبر التفسير الذي يتولد عن هذه النظرة ويقوم عليها مقبولًا ومناسبًا لخصوصية هذه المرحلة الفكرية والمعرفية)، إلا أنها أضحت في العصر الحديث قيدًا يحول دون الوصول إلى فهم جديد للنص القرآني مساير للعصر، بحيث إنّ كل فهم مغاير لما أنتجته هذه العلوم، يكون «موضع شبهة واتهام بأنه فهم تأويلي أو فردي أو لا يحتج به»[3]، وبالتالي، لا سبيل لإنتاج معنى قرآني جديد من دونها.

والعلواني، وإن كان من جهة يرى ضرورة الاطلاع على هذه العلوم، والاستفادة منها قدر المستطاع في التعامل مع النص القرآني، فإنه من جهة أخرى، يرى ضرورة ربطها بالعصور والأزمنة التي نشأت

(3) العلواني، طه جابر، لماذا إسلامية المعرفة؟ مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد 01، (1995م)، (غير مرقم).

فيها، ثم بعد ذلك تجاوزها «إلى العصور الراهنة، التي لا تقل حاجتها إلى استلهام معاني القرآن المجيد، والكشف عن مقاصده وقيمه وأحكامه وسننه في بناء المجتمعات، وإقامة الحضارات، وتأسيس الأمم، عن حاجات السابقين»[4]. فكانت له مراجعات وانتقادات لبعض قضايا هذا التراث، انطلاقًا من رؤية ثنائية ترى: أن علوم القرآن التراثية فوتت على العقل المسلم إدراك الوحدة البنائية للقرآن الكريم، باعتبارها محددًا منهجيًّا في قراءة وتفسير النص (استكشاف المعنى القرآني)، ثم لكونها جزّأت هذا النص عبر مجموعة من المفاهيم والحقول المعرفية؛ من قبيل آيات أحكام، وآيات عقائد، ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ. وتوارت بذلك -حسب العلواني- عالمية الخطاب القرآني.

أولا: حاجة القرآن المجيد إلى علم التفسير

الحديث عن التفسير عند العلواني، أو عن أي علم من علوم القرآن الأخرى، لا ينبغي أن يفصل عن الفكرة التجديدية التي ينطلق منها في مقاربته لكل ما يتصل بإشكالات التعامل مع النص القرآني وقضاياه: ألا وهي فكرة الوحدة البنائية للقرآن الكريم وحاكميته، التي تنظر إلى القرآن الكريم على أنه ينبغي أن يقرأ جملة واحدة دون تعدد وتجزئة في آياته، ولا تعضية في معانيه وأحكامه، فيقبل بعضها ويرفض البعض الآخر[5]. وفي ضوء هذه الفكرة، ناقش ﷺ- قضية حاجة القرآن الكريم إلى التفسير بالمعنى الاصطلاحي للكلمة، منطلقًا من سؤال قديم/حديث: هل يحتاج القرآن الكريم الذي وصفه سبحانه وتعالى بأنّه بَيِّن ومبيّن إلى تفسير وشرح وبيان؟ ويتساءل الباحث أيضًا ضمن هذا السياق عن: مركزية الوحدة البنائية وموقعها في بيان المعنى القرآني.

لم يفرد العلواني موقفه من علم التفسير -بالمعنى الاصطلاحي- بتأليف مستقل كما فعل مع بعض أنواع علوم القرآن الأخرى كما سيتبين، ولكن حين نستقرئ إنتاج العلواني حول القرآن الكريم خاصة، ينجلي لنا ذلك الموقف المؤيد لرأي أهل العلم القائل بعدم حاجة القرآن الكريم إلى تفسير، ذلك أن القرآن الكريم -حسب العلواني- يفسّر بعضه بعضًا. وبالتالي، هو في غنى عن شيء يسمى علم التفسير، فيكفي أن نفسر القرآن بالقرآن، كما فعل الرسول ﷺ: «وهو ما ينبغي لنا أن نعتمده ونجعل التفاسير الموروثة ومنها بعض التفاسير الحديثة، مراجع للمتخصصين، لكيلا تشغل الأمة عن كتاب ربها وتحجب

(4) العلواني، طه جابر، أفلا يتدبرون القرآن معالم منهجية في التدبر والتدبير، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، (2010م)، (ص/ 06).

(5) انظر تفصيل القول في المراد بالوحدة البنائية في كتاب: الوحدة البنائية للقرآن المجيد، د. طه جابر العلواني، القاهرة، مكتبة الرشق الدولية، (2006م)، (ص/ 11).

عنه وتعزل عن أنواره بآراء المفسرين واتجاهاتهم»[6].

أما عمل الخلف في التفسير وما أنتجوه من ثروة علمية هائلة، فهو عند طه لا يحتج به؛ فيقوم دليلًا على ضرورة التفسير، أو حاجة القرآن إليه. فالأجيال التي جاءت بعد جيل التلقي (جيل الصحابة)، «والذين تابعوا منهج رسول الله ﷺ، وجدوه دائمًا يفسر القرآن بالقرآن، ويعين الناس على فهمه أدق فهم، وأحسنه، وأصلحه بهاتين الوسيلتين: تعليمهم العمل به، ولفت أنظارهم إلى أن بعضه يبين بعضه، وآياته يفسر كل منها الآيات الأخرى»[7].

فحسب الوحدة البنائية -التي انطلق منها العلواني في مراجعته ونقده للعلوم التراثية- فإن القرآن يفسر بالقرآن، فتُفَسّر بعض آياته باستدعاء بعض الآيات الأخرى، وتفسر السورة القرآنية أيضًا من خلال (وحدة السورة)، أي: أن لكل سورة عمودًا يمثل محورها الأساس، وتأتي باقي الموضوعات الأخرى «معضدة ساندة تدور حول ذلك العمود، وكأنّها أوتاد معضدة ومعززة للعمود الأساس. والقرآن بجملته يقوم على ثلاثة أعمدة: أولها: التوحيد، وثانيها: التزكية، وثالثها: العمران»[8]. وبالتالي، تكون قراءة النص القرآني في ضوء وحدته البنائية نافية لوجود أي تعارض أو تضارب أو نسخ، وتغلق الباب أمام أي تأويل شاذ متضارب لكلماته وحروفه.

كما ينطلق العلواني أيضًا في إبرازه للوحدة البنائية للقرآن الكريم، من تأسيسه لفكر المقاصد القرآنية العليا الحاكمة: التوحيد، العمران، التزكية، الدعوة، الأمة؛ التي يمكن أن نعتبرها منطلقًا أساسًا عند مفكرنا في تجديده لتفسير النص القرآني. فهو ينطلق منها لتكون وسيطًا بين كتاب الكون: عالم الإنسان، وبين كتاب الوحي. ومن خلالها ينقل المحورية من النص إلى الفعل الإنساني (بحيث يكون «محور التركيز هو الفعل الإنساني، أما النص فيكون محورًا لتقييم هذا الفعل، والتشريع له»[9])، على عكس ما كان عند المتقدمين.

ومنه؛ فالعلواني يرى أن إبراز هذه المقاصد القرآنية الحاكمة، سبيل إلى إدراك الوحدة البنائية للقرآن المجيد، وبالتالي تجاوز تلك التصورات والتأويلات «التي كانت سائدة في عصر التدوين من احتمال وجود التعارض الملجئ إلى الترجيح، أو القول بالنسخ، أو القول بتناهي النصوص وعدم تناهي

(6) هيئة التحرير، القرآن الكريم والقراءات المعاصرة مع طه جابر العلواني، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث العدد 01، لبنان، 2011م، (ص/ 148).

(7) العلواني، طه جابر، تفسير القرآن بالقرآن، مكتب الأردن عمان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي فرجينا، (2021م)، (ص/ 15).

(8) العلواني، طه جابر، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، (ص/ 81).

(9) العلواني، طه جابر، التوحيد والتزكية والعمران محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، لبنان، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1/2003م، (ص/ 09) بتصرف.

الواقع، وغير ذلك من أقوال غير دقيقة ولها خطورتها على إطلاقية النص القرآني»[10]. وهذا يجعل من فكرة الوحدة البنائية محددًا منهجيًّا في عملية التأويل عند العلواني، تأتي لتدارك مخلفات الفكر التجزيئي الذي سجن هذه الفكرة في مساحة ضيقة ضمن النظام المعرفي التراثي كعلم التفسير خاصة.

ثانيًا: العلواني وموقفه من النسخ في القرآن الكريم

يُعدُّ النسخ مبحثًا أصيلًا من مباحث أصول الفقه، وله حضور تبعي في علم التفسير. وقد اعتبره العلماء قديمًا، وحتى حديثًا، آلية من آليات فهم النص الشرعي عند التعارض والتنافي خاصة. لكن أصالته هاته لم تمنع المتخصصين من مناقشة ماهيته ووظيفته، خصوصًا عندما يكون ادعاء النسخ في النص الشرعي مدعاة لجملة من الإشكالات المتعلقة بخصائص الوحي، لذلك نجده قد دارت حوله معارك علمية، وكتبت حوله كتب ودراسات، لحد الآن.

راجع العلواني مبحث النسخ ضمن سلسة «دراسات قرآنية»، فخصّه بدراسة مفصّلة هي الخامسة ضمن السلسلة عنونها بـ«نحو موقف قرآني من النسخ»، توصل من خلالها وبصورة قاطعة إلى «أن القرآن كله من أوّل ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ حتى قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ محكم كله، لا ناسخ فيه، ولا منسوخ، معصوم من الاختلاف كله. وأن كل ما ادُّعيَ نسخه في هذا الكتاب أثبتنا بالأدلة الشرعية المعتبرة أنّ دعاوى النسخ فيها لا تستقيم للبحث، وأن تلك الدعاوى عارية من الصحة»[11]. وقد سلك في دفاعه عن هذه الحقيقة -بعد بحث شاق لحساسية الموضوع ودقته- منهجية علمية عبر مسلكين:

الأوّل: التأصيل القرآني لمفهوم النسخ

فتح العلواني نافذة مراجعة التراث ونقده في ضوء هداية القرآن، ولذلك، وفي محاولاته لاستعادة (الوحدة البنائية) للقرآن الكريم، يسعى إلى إعادة تحرير المفاهيم وبنائها من داخل القرآن نفسه، فهو في هذا المقام -موقفه من النسخ- يبدأ بتحديد مفهوم النسخ في القرآن بالعودة إلى موقع وروده في القرآن الكريم ومحاولة تحديد المقصود منه ضمن السياق الذي ورد فيه، في الآيات التالية:

قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾ [البقرة: 106].

(10) العلواني، طه جابر، التوحيد والتزكية والعمران محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، (ص/ 11 -12).
(11) العلواني، طه جابر، نحو موقف قرآني من النسخ، (كتاب متوفر على النت بدون دار نشر ولا البلد)، (2006م)، (ص/ 06).

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأعراف: 154].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج: 52].

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: 29].

وبعد وقفات عديدة مع المفسرين واللغويين في تفسيرهم لهذه الآيات، ومناقشة مطولة لتعريفات الفقهاء لمفهوم النسخ باعتباره رفعًا لحكم الآية الذي أصّلوا له من الآية 106 في سورة البقرة، يقرر العلواني أن الدلالة الموروثة لمفهوم النسخ لا توافق الدلالة القرآنية له. فبعد أن حسم معنى النسخ في الآيات الثلاث، بحيث لا يمكن قبول النسخ عقلًا ولا جوازه شرعًا بتلك المعاني[12] التي لا تأتي على معنى واحد، بل تختلف من موضع إلى آخر. يأتي إلى الآية 106 من سورة البقرة ويناقش فيها مفهوم النسخ مستحضرًا إياه ضمن سياقه القرآني (أي: باستحضار الآيات السابقة واللاحقة)، فيخلص إلى القول بأن معنى النسخ في القرآن هو: «بيان انتهاء مدة (بني إسرائيل) ونَسْخ النَّسَق الذي قامت عليه أُمّتهم وآيتهم كما نُسخت دولتهم، وهدم كيانهم وهيكلهم مرّات فلم يتعظوا ولم يرجعوا إلى صوابهم، واستمروا يعيثون في الأرض فسادًا. فمعنى (النَّسْخ) هنا بيان انتهاء مدَّة الأُمَّة اليهودية وآيتها واصطفائها، وتفضيلها على العالمين، واستبدالها بخيرٍ منها»[13]. لينتهي العلواني بعد هذه الرحلة العلمية مع مفهوم (النسخ)، إلى القول بعدم وجود أي تعارض أو تناقض بين الآيات موضع هذا المفهوم، والتي تستدعي تخريجها على قواعد النسخ عند القائلين به. وبالتالي؛ القول بنسخ بعض الآيات القرآنية، قضية «يرفضها القرآن الكريم ولا يستسيغها الحس العلمي الذي بناه القرآن المجيد في عقول وقلوب وأنفس المسلمين»[14]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن مفهوم النسخ الذي يحاول إبطاله العلواني هو المفهوم الذي جاء به المتأخرون وليس مفهومه عند المتقدمين. فالنسخ عند المتقدمين كان معناه النقل، بحيث يكون متعلقاً بورود نصين على قضية واحدة، فيكون السابق دالاً على حكم في حالة، واللاحق يدل على انتقال ذلك الحكم في إطار تخصيص العام، وتقييد المطلق، وبيان المجمل. وأما في الطور الثاني، أي: عند المتأخرين أعطي النسخ معنى إبطال الحكم ومحوه لعلاج التعارض المتوهم بين نصين.

(12) العلواني، طه جابر، نحو موقف قرآني من النسخ، مرجع سابق، (ص/ 14 و15).
(13) المرجع السابق، (ص/ 09).
(14) المرجع السابق، ص 71.

الثاني: خصائص الخطاب القرآني

من السبل التي سلكها العلواني أيضا في إبطاله القول بالنسخ في القرآن الكريم، مراعاته لخصائص الخطاب القرآني وما تعلق بوحدته البنائية خاصة؛ فهو يرى أن عدم الالتفاف الكافي إلى هذه الوحدة، واعتبارها محددًا منهاجيًّا يجعل من القرآن جملة واحدة تنفي عنه أي تعارض أو تناقص أو تمانع، من أهم الأسباب التي جعلت العقل المسلم يقع في «براثن آفة النسخ، وتحويل النسخ إلى علم من علوم القرآن، ألقى على القرآن المجيد كثيرا من الظلال القاتمة»[15].

فالخطاب القرآني حسب العلواني خطاب مطلق ومتعال ومتجاوِز، وهي في الوقت نفسه صفات لا تنفي عنه كونه خطابًا مراعيًا لحال المكلف وواقعه بعناصره المختلفة، ومراعيًا للسياق، فهو يتفاعل مع الواقع «فيتصل به، وينفصل عنه فيستوعبه، لكنه سرعان ما يتجاوزه. وهو لا يحل فيه ولا يرتبط به ارتباطًا نهائيًّا، بل يستوعبه ويقوم بترقيته وتزكيته ثم يتجاوزه إلى المستقبل،... وحين يتجه إلى المخاطب يتجه اتجاه المحيط بطاقته وقدراته.. فكأنه يبدأ بقياس طاقات هذا الإنسان المختلفة، ليوظف الإيجابي منها في مواجهة السلبي... أما السياق ذاته، فنستطيع أن نتتبع التقنيات والأساليب العديدة التي يعمد إليها، وهو يؤدي مهامه في بناء المقاصد والقيم»[16]. وبالتالي؛ فنحن في بيان النص القرآني، نكون في غنى عن أي مبين من خارجه.

وقد وظّف طه هذه الرؤية المنهجية في التعامل مع النص القرآني، في رفع التعارض والتخلص من النسخ في كثير من الآيات التي حكم السلف بأنها من الآيات التي دخلها النسخ، فنجده مثلًا يرفض وجود تعارض أو نسخ بين قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾ [البقرة: 284]. وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ [البقرة: 285]، «فبينهما للوهلة الأولى ونحن ننظر إلى سطح الخطاب تعارض.. لكن حين ينظر إلى الواقع وتاريخ النزول يكتشف أن لكل من النصّين وظيفة نفسية واجتماعية وتاريخية، فالنص الأوّل يحرّك الواقع بإعطاء الإنسان دفعة قوية جدًّا حيث يعلي فيه طاقته النفسية ويضاعفها أضعافًا كثيرة، فتحقق الغايات القيمية في تكوين الإنسان المتحلي بالصدق مع الله ثم مع الذات، والإحساس الكامل بالمسؤولية التامة. في حين يبيّن لك النص الثاني أن الجزاء لا ينبغي أن يكون مصدر قلق لك لأنه لن يتعلق إلا بمعطيات طاقتك العادية وأفعالك الواقعة.

(15) العلواني، طه جابر، النسخ ليس تحريفا للقرآن، إسلامية المعرفة، عدد 46-47، 2006م، (ص/ 25).
(16) العلواني، طه جابر، نحو موقف قرآني من النسخ، (ص 44 -45).

فالآية الأولى جاءت لإعلاء طاقة الإنسان على المراقبة لله والإحساس بحضوره الدائم لإنماء الضمير الفردي وإنماء حساسيته وفاعليته، في حين جاء الخطاب الثاني ليزيل اللبس الحاصل في متعلق التكليف الإنساني، أهو القدرة والوسع والطاقة، أم آخر؟!»[17].

فالعلواني من خلال محاولات إبطال القول (بنظرية النسخ)، يحاول التأسيس لأدوات فهم النص القرآني بناءً على منطق القرآن الكريم الداخلي، ومنهجيته المعرفية القائمة على وحدته البنائية والجمع بين القراءتين.

ثالثا: العلواني وموقفه من المحكم والمتشابه

ضمن نفس السلسلة (دراسات قرآنية)، يراجع العلواني مبحث المحكم والمتشابه، وجريا على عادته في إعادة تحرير المفاهيم وبنائها من داخل النسق القرآني، يراجع هذا المبحث انطلاقا من الآيات التي ورد فيها مفهوم (المحكم والمتشابه) وأهمها الآية 23 من سورة الزمر في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٢٣﴾، فيؤكد على أن معنى التشابه المقصود في الآية هو أن القرآن الكريم كله «متشابه في الإحكام والإتقان والإعجاز وواحد كله في ابتدائه على علم الله المطلق المحيط، وأن رسالات الله في أصول العقيدة وقواعد التشريع واحدة كذلك، لا اختلاف بينها، إلا ما فرط فيه متلقوه، أو قاموا بتحريفه»[18]. وليس المقصود منه أن القرآن الكريم على وجهين: منه المحكم ومنه المتشابه.

ثم الآية 07 من سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾، وهي الآية التي توهّم -حسب العلواني- من خلال فهمها كثير من المفسرين أنّ القرآن فيه آيات محكمات وأخر متشابهات، وأن المحكم هو ما كانت دلالته واضحة، والمتشابه هو ما كانت دلالته غير واضحة؛ بل لقد وصل الأمر إلى حد القول بأنّ في القرآن غموضًا والتباسًا، وفيه كلمات غريبة، حتى إن كثيرًا منهم ألف في غريب القرآن. إلا أن العلواني يرفض هذا الفهم لهذه الآية، فيحتكم في ذلك إلى القرآن نفسه، فيرجع في تفسيرها إلى سياق الورود وعلاقته بالقرآن ككل في إطار الوحدة البنائية، فالتشابه في سياق الآية يكون بمعنى التشابه بين الكتب

(17) المرجع السابق، (ص/ 46 – 47).

(18) العلواني، طه جابر، نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه، القاهرة، دار السلام، (2010م)، (ص/ 04).

المنزلة في تحديد أركان العقيدة وأصول الشريعة، والمحكمات هي الآيات التي انفرد بها القرآن. وبالتالي لا يكون فهم المحكم والمتشابه في هذه الآية بمعنى وصف بعض الآيات القرآنية في مقابل بعض الآخر.

ثم يستعرض طه أقوال المفسرين وآراءهم ومذاهبهم في المراد بالمحكم والمتشابه، حيث استند كثير منهم في تعيين المراد منه بالقواميس اللغوية، التي تفيد بأن معنى التشابه يراد منه الالتباس والغموض، وهذا من العيوب التي تدخل على الكلام. وهو حسب العلواني ينافي كون القرآن الكريم ذاته بيانًا للناس ليقطع حجتهم. ولذلك يرى أن منشأ هذا الإشكال يعود في شق كبير منه إلى القول بأن القرآن الكريم لا يتسنى فهمه إلا بلغة العرب ومعهود كلامهم، وهذا قول حسب العلواني يحتاج إلى إعادة نظر وتمحيص؛ لأنه قائم على «التسوية بين «لسان القرآن العربي» و«اللغة العربية»؛ لأن اللغة العربية ليست مجرد أصوات وأحرف محايدة، ولكنّها لغة تعبر عن مضامين ثقافية، واجتماعية، واقتصادية لم يأت القرآن الكريم ليكون امتدادًا لها، بل جاء بمعانيه الرسالية التي مثلت رسالته وخطابه... فلا ينبغي بحال أن يخضع «لسان القرآن» لقواعد لسان العرب»[19]، فهذا قد أدى إلى الوقوع في مشكلات منهجية كثيرة في فهم النص القرآني، منها الفهم المشوّه لمفهوم «المحكم والمتشابه» الذي استنتج منه أن «في القرآن الكريم آيات ملتبسة. ووقع تشويه المفهوم حينما استدعيت الاستخدامات اللغوية الشائعة عند العرب.. دون نظر إلى معهود القرآن الكريم وسياق ورود الآيات، فكانت النتيجة أن يفهم أن الآيات المتشابهات هي الآيات الغامضة الملتبسة»[20].

المحور الثاني: معالم منهجية كشف المعنى القرآني عند العلواني

الباحث عن تفسير القرآن الكريم عند المرحوم طه العلواني بالتصورات التقليدية لعلم التفسير بجميع اتجاهاته، والتي تروم كشف المعاني القرآنية سواء بمنهج مدرسة المأثور أو بمنهج مدرسة الرأي، لن يجد بغيته وضالته. بل سيكون مخالفًا لمبتغى الرجل من القرآن، إن قارب موضوع التفسير عنده بأدوات ومناهج السابقين رحمهم الله. الذين لم يكن العلواني غافلًا عن مجهوداتهم الكبيرة في تفسير وإعادة تفسير القرآن الكريم عبر العصور، بل دعا إلى الاطلاع على هذا التراث والاستفادة منه قدر الإمكان. لكنه لم يقف عنده جامدًا ليستنسخ مثل صنيعهم في الموضوع. فهو يرى أن هذا التراث «على اتساعه وتنوعه وكثرة فوائده، لم ينجح في استجلاء معاني القرآن الكريم، وبقي في هذا الكتاب الخالد

(19) العلواني، طه جابر، نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه، (ص/ 13).
(20) العلواني، طه جابر، نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه، (ص/ 14).

كثير من العوالم التي يشعر الإنسان لو أنه خلّي بينه وبين القرآن، يراجعه ويسائله ويتدبر فيه ويتذكر ويتعقل، لاستفاد من معانيه وتجلياته وما فيه من نور وهداية أكثر بكثير مما استفاده من تدخلات المفسرين»[21]. فالعلواني استفاد من التراث التفسيري، وبنى إلى جانبه مادة جديدة، بمنهجية ورؤية جديدتين، من خلال التدبر في آيات القرآن الكريم وسوره.

والحديث عن منهج العلواني في التفسير ينبغي أن يُستوعب ضمن مشروع الرجل في كليته وشموليته، فالرجل على غرار النظر التقليدي في التعامل مع النص القرآني، ينظر هو إلى القرآن الكريم من داخله، وليس من خارجه، فينطلق في بيان معانيه من أساسين اثنين: الأوّل: وحدة القرآن البنائية؛ فيرى أن هناك ترابطًا منهجيًّا ناظمًا لسور القرآن الكريم وآياته. والثاني: أن هناك ترابطًا منهجيًّا ناظمًا بين القرآن والكون. وبالتالي؛ تقود قراءة القرآن من داخله إلى قراءة الكون، وقراءة الكون تقود إلى قراءة القرآن، مما يستوجب الجمع بين القراءتين في بيان المعنى القرآني عند العلواني.

ولذلك نؤكد على أن عدم استيعاب فكر الرجل في كليته، يوقع المهتم بفكره أو المشتغل عليه في قراءات مختزلة ومجتزأة وقد تكون تحريفية.

أولا: التدبر منهج في التفسير

إنه (التدبر) كما اصطلح عليه العلواني، تمييزًا له عن التفسير كعلم[22]، والتفسير الموضوعي خاصة. وهو تفسير القرآن بالقرآن؛ تأملات مؤطَّرة برؤية منهجية مستقاة من مشروعه الفكري، وخادمة لأهدافه ومقاصده الكلية، ممثلة في: إعادة النص القرآني إلى ساحة البحث العلمي، وإعادة الحاكمية له.

لا يقوم منهج التدبر (تفسير القرآن بالقرآن) عند العلواني على الناحية الموضوعية، كما هو الحال مع التفسير الموضوعي القائم على جمع الآيات المتعلقة بموضوع ما، والربط بينها، والنظر في تواريخ نزولها وأسبابه... هذا النوع من التفسير يرى العلواني أنه لا شك مهم، ويصعب تجاوزه عند (تدبر) القرآن الكريم. إلا أن هذا الأخير، وإن احتوى مزايا التفسير الموضوعي، فإنه يستوعبها ثم يتجاوزها. فهو «تفسير وتدبر

(21) العلواني، طه جابر، تفسير القرآن بالقرآن، المملكة الأردنية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (2021م)، (ص/ 27).

(22) يتجلى هذا الفرق عند العلواني في كون: المتدبر لا يتدبر لكي يفسر القرآن للناس، ولكنَّه يتدبر ليفهم ويفقه ويرتبط بالقرآن المجيد وبمعانيه بأوثق رباط، في حين أنَّ المفسر إنَّما يقصد في تفسيره الآخرين من الناس، فالتدبر فرض عين، والتفسير أقرب إلى فروض الكفايات.

وفي كون: التدبر يقوم على الحوار بين المتدبر والقرآن المجيد، انطلاقًا من القرآن ذاته، وغوصًا في أعماقه، ورصدًا لأشباهه ونظائره، أمَّا التفسير فيتجاوز المفسر فيه ذاته فيعتمد على مراجع كثيرة ومصادر متنوعة.

وتأمل وتفكر وتعقل وتذكير وترتيل في القرآن المجيد، يستخدم كل تلك المداخل ويتوسل بكل تلك الوسائل ليكون القرآن الكريم المرجع الأساس في فهم القرآن المجيد ذاته، وفي فهم كل ما جاء ليعلم البشرية، سواء تعلق بالأحكام أو العبر أو السنن أو القوانين أو بناء الحضارات أو بناء العمران، وتحقيق التزكية، وتحقيق التوحيد، وبناء التصور السليم، وبناء المعتقد الصحيح، كل ذلك تجده في القرآن الكريم»[23].

إن (التدبّر) الذي ينهجه العلواني في قراءة النص القرآني، ليس تأملات حالمة، أو إشارات عابرة لترقيق القلوب لا تخضع لضوابط، إنما هو رؤية واضحة تؤطرها مداخل محددة، ويتشكل وفق معالم منهجية.

أ- ضوابط تفسير القرآن بالقرآن وفق منهج التدبر.

يحذر العلواني -رحمه الله- من ثلاثة معوقات يرى أنها تحول بين القارئ (المفسر)، وفهمه للنص القرآني وفق منهج التدبّر، نجملها اختصارًا في الآتي:

- **الاختلاف بين القارئين**: لا شك أن قراءة النص القرآني تدبرًا أو تفسيرًا، لم تأت في كثير من الأحيان على معان واحدة، لا قديمًا ولا حديثًا، بل قد اختلفت بعض القراءات وتباينت بعض التأويلات من قارئ لآخر. فهذه الحالات في نظر العلواني توجب القيام عن القرآن، والإلجام عنه، لأن القرآن في هذه الحالة -حالة الاختلاف والشقاق النفسي- «سوف يحمل القارئين على أن يجعلوا من القرآن مجرد شواهد ووسائل معبّرة عن آرائهم التي اختلفوا فيها وحولها. وسيؤدي إلى أن يضربوا القرآن بعضه ببعض، بدلًا من أن يقرؤوه في تكامل تام، وفي إطار وحدته البنائية»[24].

- **البحث عن شواهد**: من المعوقات التي يمكن أن تحجب القارئ المتدبِّر للنص القرآني عن أنوار القرآن وأسراره، أن يكون منطلقًا في ذلك من طلب الشاهد أو الدليل المعضد لموقف يقفه أو رأي يراه.

- **الأحكام المسبقة**: كذلك الإقبال على تدبر القرآن بأحكام مسبقة، يكون حائلًا بين القارئ واستجلاء معاني النص السليمة الصحيحة. فالقرآن الكريم من منظور العلواني، ينفتح على «قارئ هو في حاجة إليه، يريد أن يستنطقه ويستشريه لكي ينال من هدايته ومن معانيه.. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: 07]، فالتائه سوف يجد هدايته فيه، ولكن الداخل إليه بأحكام مسبقة سوف يجد نفسه يقرأ بطريقة من يفرض على القرآن معاني قد لا يحتملها نصّه، ولا يشير إليها أو يدل عليه خطابه بأي وجه من أوجه الدلالة»[25].

(23) العلواني، طه جابر، تفسير القرآن بالقرآن، (ص/ 44-45).
(24)المرجع السابق، (ص/ 32).
(25) المرجع السابق، (ص/ 32).

ب- معالم في ممارسة منهج (التدبر) لفهم النص القرآني.

يضع العلواني جملة من المعالم الواضحة لمنهجه في مقاربة النص القرآني، يعتبرها مقدمات أساسية لكل قارئ قبل الدخول إلى القرآن، والولوج إلى ساحة تدبره.

- **موقع القارئ من الخطاب:** يقصد العلواني من ذلك: الغرض والمقصد الذي دفع القارئ إلى الغوص في رحلة تدبر القرآن، هل جاء إلى القرآن طالب هداية، أم طالب تعبد، أم طالب معرفة وحكم، أم طالب سنن إلهية وسنن اجتماعية، أم تاريخ أقوام، أم استنباط هداية؟

- **تنزيل القراءة على القلب:** إلى جانب ذلك يشترط طه مقدمة ثانية لولوج القرآن، وهي أن تنزل هذه القراءة على القلب. ويعتبرها العلواني أمرًا ضروريًّا، بحيث إن «القراءة بالعينين وتحريك اللسان دون إشراك فعلي للقلب، لا تؤدي ما تؤديه القراءة عندما ينزل القرآن قراءته على قلبه مباشرة. وهذا النوع من القراءة يقتضي تيقظ قوى الوعي الإنساني كلها، ويحتاج إلى التدريب على ذلك حتى يصير للقارئ دأبًا وسنة، فيكون القلب هو المستقبل الأوّل لآيات الكتاب الكريم»[26].

- **حضارة كلمة وحضارة صورة:** ويتحدث العلواني عن ضرورة الوعي بكون القرآن الكريم كلام الله القائم على الكلمة (مقابل الصورة والتمثال)، والكلمة يستحيل توثينها. لكن في مقابل ذلك ما ينبغي التعامل مع كلمات الله باعتبارها كلمات عادية من اللغة العربية، بل هي كما يقول العلواني كلمات إلهية أقرب إلى المفاهيم التي وجب استخلاصها وتدبرها ومعرفة مآلاتها ووظائفها، وذلك من خلال القرآن الكريم نفسه، فهو الأولى بتحديد معنى كلماته، التي يراها طه مثل اللبنات من البناء؛ «تعطي فائدتها منفردة ومستقلة، وفي نفس الوقت تعطي جملة من الفوائد وهي في داخل البناء»[27].

وهذا، يوجب له العلو اني استحضار لسان القرآن، وكونه مختلفًا عن أي لسان آخر، بما في ذلك اللسان العربي. فلسان القرآن يصعب إخضاعه للألسنيات، والألسنيات المعاصرة خاصة، التي تنطلق من عملية دراسة النصوص وتفكيكها ثم إعادتها إلى كلمات مفككة للتيسير من أجل تحليلها. وفي ذلك يتحسّر العلواني قائلًا: «لقد كان من الممكن لو أنّ المسلمين جاوزوا تخلفهم الذي هم فيه، أن يبنوا على تلك الدراسات -الدراسات اللغوية القديمة لكلمات القرآن الكريم- ليكون لديهم علم ألسنيّات ملائم للتعامل مع القرآن الكريم بمزاياه وبخصائصه كلها... لحمايته من تطفل الذين لا يعرفون عنه الكثير، ولا يستطيعوا أن يتذوقوه...»[28].

(26) المرجع السابق، (ص/ 33).
(27) المرجع السابق، (ص/ 34).
(28) المرجع السابق، (ص/ 35).

ثانيًا: تفسير القرآن بالقرآن (منهج التدبر) نماذج تطبيقية

لم يترك العلواني تفسيرًا كاملًا للقرآن الكريم[29]، إلّا أنّه قدم مجموعة من التطبيقات لمنهجه في التدبر لعدد من سور القرآن الكريم، جُمعت في سفر واحد يمتد لـ970 صفحة، وسماه بـ«تفسير القرآن بالقرآن». وجاءت هذه التطبيقات بشكل غير مرتب، حيث نجد في تفسيره هذا: تفسير سورة الفاتحة ثم سورة البقرة، ولا نجد بعدهما تفسير آل عمران والمائدة، ثم ينتقل إلى سورة الأنعام وسورة طه بعدها، وبينهما فراغ كبير، ثم ينضبط عنده التفسير من سورة طه إلى سورة السجدة ويتوقف عندها. فلم يساير في ذلك ما قام به المفسرون من تراتبية في تفسير سور القرآن الكريم. كما لم يسايرهم أيضًا في تقسيم القرآن الكريم إلى فقرات، أو مقاطع، أو وحدات موضوعية، بل عدل عن ذلك إلى توظيف مفهوم النجوم، «تيمنًا بنزول القرآن منجمًا... نعني به -أي: مفهوم النجوم- تقسيم السورة تقسيمًا موضوعيًّا مترابطًا يعين على الفهم والاستيعاب لسور القرآن الكريم وترابط أجزائها ونجومها وآياتها»[30].

ففي تفسيره لسورة الفاتحة ينطلق من بطاقة تعريفية للسورة يبسط فيها وصفًا مختصرًا (من حيث عدد آياتها وكلماتها وحروفها، وذكر مكان نزولها وترتيبها في المصحف، وفضائلها)، ثم يقف مع اسمها متدبرًا في مقصوده ومناسبته للسورة، لختم هذه البطاقة بالتدبر في مناسبة السورة لما بعدها. بعد هذا الوصف للسورة وما تعلق به، يبدأ بتطبيق منهج التدبر «تفسير القرآن بالقرآن» وتطبيقه في تفسير سورة الفاتحة، محددًا:

- **عمودها**: حدد خمسة أعمدة للسورة: العمود الأول (التوحيد بأنواعه كلها توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الحاكمية)، ثم العمود الثاني (التزكية)، ثم العمود الثالث (العمران)، ثم العمود الرابع الذي هو (الأمة)، ثم العمود الخامس الذي هو (الدعوة).

---

(29) قد يتساءل المطلع على سيرة الرجل -فقد نشأ في كنف القرآن منذ صغره- وفكره الذي كان فيه القرآن هو حجر الزاوية -فقد انطلق منه، سواء عندما رام مُقاربة التراث العربي الإسلامي؛ سُنةً وكلامًا وأصولًا وفقهًا وفلسفةً ولغةً، أو عند تعاطيه مع التراث الغربي؛ فلسفة يونانية أو قانونًا رومانيًّا أو أنوارًا أو نهضةً أو حداثةً-، كيف لم يكتب رجل عاش حياته مع كلام الله تفسيرًا كاملًا للقرآن كما فعل بعض أكابر هذه الأمة؟ الجواب عن هذا السؤال يَلزمه معرفة حقيقية بفكر الرجل، وبحث حثيث في مشروعه، لندرك أن المسألة ليست قضية عجز، أو وقت، أو ترتيب أولويات، أو هناك مانع منعه من ذلك. إنما المسألة في نظرنا هي مسألة رؤية حديثة مغايرة لذلك النمط التقليدي في قراءة النص القرآني الذي عرفه تاريخ علم التفسير، تؤسس لمنهج جديد يقوم على جعل القرآن هو المرجع الأساس في فهم القرآن، سواء تعلق الأمر بالأحكام والقوانين، أو بالعبر والسنن الإلهية، أو بناء الحضارات والعمران، أو تحقيق التزكية والتوحيد، أو بناء التصور السليم والمعتقد الصحيح.

(30) العلواني، طه جابر، تفسير القرآن بالقرآن، (ص/ 50).

- **ومفاهيمها:** بعد ذلك يعمل العلواني على تحديد المفاهيم الواردة في السورة، ويحصرها في اثني عشر مفهوما كالتالي: (البسملة، والحمد، ومفهوم الرب والربوبية، ومفهوم الرحمة، مفهوم مالك وملك، ومفهوم الدين، ومفهوم العبادة، ومفهوم الاستعانة، ومفهوم الهداية، ومفهوم الصراط، ومفهوم النعمة، وتصنيف البشر وبيان الصفات والمفاهيم الدالة على كل صنف). فيتتبعها في سياقات القرآن المختلفة، ثم يعمد إلى صياغتها صياغة قرآنية في إطار وحدته البنائية، ويجعل القرآن المصدر الأوحد لبنائها، ثم يعمد إلى بيان هذه المفاهيم على سبيل التفصيل.
- **ويختم** بالوقوف عند بعض نجوم السورة.

وبذات المنهج (تفسير القرآن بالقرآن)، ينتقل إلى تفسير سورة البقرة، ليخوض تجربة التدبر فيها عبر مجموعة من الخطوات كالتالي:

- **وصف السورة:** عدد آياتها وكلماتها وحروفها، وذكر مكان نزولها.
- **تحديد عمود السورة:** أو ما يتقارب مع ما يسميه البقاعي (ت 885هـ) في «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور» بـ«مقصد السورة»[31]، ومع ما أطلق عليه عبد الله دراز (ت 1985) في (النبأ العظيم) بـ(عقد المعاني)[32]. وهي منهجية تقوم على النظرة الكلية للسورة القرآنية، باعتبارها جملة واحدة في النظم والمعاني والمقاصد، فالسورة الواحدة مهما تعددت فيها الأحداث والمواقف، وتنوع فيها الخطاب بين عام وخاص، والمخاطب عقلًا أو وجدانًا كان، كافرًا أو مسلمًا،... فإنها في كليتها تحقق مقصدًا أساسًا، تحيط به مقاصد فرعية توضحه وتدعم وجوده في ذهن المتدبر.

ويحدد العلواني العمود الأساس لسورة البقرة في (الاستبدال)، ويقصد به «استبدال أمة بأمة، فالسورة مع كل ما اشتملت عليه، كانت إعلانا لانتهاء دور أمة اليهود أو بني إسرائيل، واستبدالهم أمة أخرى»[33].

- **تناسب السورة مع ما قبلها:** فتقوده رحلة التدبر في التناسب إلى كون سورة الفاتحة قد صنفت البشر إلى أصناف ثلاثة في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: 6-7]. وهذا التصنيف يرى العلواني أنه جاء محكمًا، حتى جاء تفصيله في سورة البقرة الآيات الخمسة والعشرين الأولى خاصة. وهذا التقسيم عنده؛ يرسي دعائم

(31) البقاعي، برهان الدين، مصاعد النظر، للإشراف على مقاصد السور، الرياض، مكتبة المعارف، (1987م)، (ج/ 1)، (ص/ 182).

(32) دراز، محمد بن عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم للنشر والتوزيع، (2005م)، (ص/ 196).

(33) العلواني، طه جابر، تفسير القرآن بالقرآن، (ص/ 87).

نظرية اجتماعية ذات بعد قيمي وأخلاقي، وهي رؤية تعين المجتمعات البشرية على فهم السلوك والتصرف البشري. وقد فصل العلواني القول فيها وناقشها من منظور علم الاجتماع وأصحاب النظريات الاجتماعية، ليخلص بعدها إلى رؤية قرآنية في المسألة.

- **نجوم السورة:** استنبط العلواني من خلاله ممارسته لمنهج التدبر في سورة البقرة، ثمانية وعشرين نجمًا للسورة (منها: الكتاب وأصناف الناس في التعامل معه، خطاب القرآني العالمي وتحديه للخلق، قصة الخلق، الأمة الإسرائيلية التي عجزت عن الارتقاء إلى مستوى الاصطفاء، تذكير الله تعالى لبني إسرائيل بالنعم مع جحودهم واستكبارهم، شدّدّوا فشدّدّ الله عليهم، الظاهرة الإسرائيلية وكيف يتعامل اليهود مع المواثيق، في السّحر وحقيقته وحقيقة التلبّس، النّسخ،..)، وكلها نجوم يرى العلواني أنها معينة على فهم السور واستيعابها.

مما يُلاحظ في دراستنا لمنهج (التفسير) عند طه جابر العلواني أنّه -رحمه الله- يفرض على دارسه تجاوز تلك الطريقة التقليدية الشائعة في دراسة مناهج المفسرين، والتي تقف عند وصف خطوات طريقة المفسر، وإحصاء الأدوات العلمية المستعملة لديه في عرضه للمادة التفسيرية، وموقفه من بعض القضايا. ليجد الباحث نفسه مرغمًا على دراسة منهج التفسير العلواني، من خلال البحث عن البعد القاعدي الحاكم للمفسر في تعامله مع النص، إنتاجًا للمادة التفسيرية، ونقدًا وترجيحًا لها؛ بأن تستنبط الكليات المعتمدة لديه في عملية الفهم، والتأويل، والتوجيه، وكذا الضوابط والمقاصد المتحكمة في العملية التفسيرية عنده. ولذلك يلاحظ القارئ الكريم أننا عند بسط منهج العلواني في التفسير، يجد أن خطواته التي سار عليها في تفسير سورة الفاتحة، ليست هي نفسها الخطوات التي سار وفقها في تفسير سورة البقرة، ولكن الأسس المعتمدة واحدة، والمقصد معمم، والرؤية موحدة.

الخاتمة

ختام القول: أن نؤكد على ما أشرنا إليه في البدء؛ إن مشروع العلواني -رحمه الله- يقوم على فكرة مركزية تتمثل في إعادة النص القرآني إلى ساحة البحث العلمي، وقراءته قراءة تجديدية تستند إلى الوحدة البنائية للقرآن الكريم. وقد انطلق في مشروعه من مراجعة العديد من أفكار العلماء ومؤلفاتهم من مختلف البقاع الإسلامية والمشارب الفكرية. وممّا لاحظناه على العلواني أثناء مراجعاته هاته أنه -رحمه الله- امتاز بالجرأة العلمية والمؤدَّبة في ردّ كثير من النظريات والأفكار والتفاسير، ومراجعتها حتى وإن جاءت عن كبار العلماء، مع الاحتفاء بهذه الأفكار وعدم التقليل من قيمتها العلمية. يقول رحمه الله: «وقولنا

هذا لا يشير إلى نوع من أنواع الاستهانة بجهود علمائنا السابقين، أو التقليل من شأن عنايتهم بكل ما يتعلق بهذا، فنحن دونهم ولا شك في كل علم وفضل، لكنّه القرآن العظيم المكنون يكشف بكرمه عن مكنوناته عبر العصور ولسائل الأجيال لئلا يحرم جيل أو قرن من كرم القرآن وأنواره وعطائه»[34].

والعلواني -ﷺ- وإن لم يترك -رغم اهتمامه الشديد بالقرآن الكريم- تفسيرًا كاملًا لسور وآيات القرآن المجيد، فإنّنا نستطيع التعامل مع كتاباته على أنها في جملتها تفسير للقرآن، فالعلواني -ﷺ- يتجاوز التعامل التقليدي مع القرآن (دون إحداث قطيعة معرفية أو منهجية مع الموروث العلمي) إلى منهجية جديدة تخدم كتاب الله في وحدته الكلية، وفي علاقته مع حركة الإنسان والكون، فنجده بذل جهودًا كبيرة في مراجعة علوم القرآن وتنقيتها، والتي يراها قد حجبت عالمية الخطاب القرآني. وبالتالي؛ نكون **مع رؤية تفسيرية تجديدية للنظر في آيات القرآن الكريم وسوره، بمنظار الوحدة البنائية والجمع بين القراءتين، غايتها فهم وخدمة المقاصد الكلية للقرآن الكريم، والعمل على تمثلها وتحقيقها في حياة الفرد والمجتمع.**

ويوصي الباحث في هذه الورقات القليلة؛ بالعمل على تأسيس هذه القراءة المعاصرة للقرآن الكريم، تأسيسًا يكون أكثر تماسكًا من حيث جهازها المفاهيمي، وأدواتها المنهجية. فهذه القراءة وإن كنا لا نناقش مسألة وجودها ضمن القراءات المعاصرة، ووضوح منطلقاتها وملامحها، وجدوى راهنيتها، إلّا أنها وفي ظل أزمة المنهج التي لا زلنا نعيشها، واستمرارية عوامل اهتزاز النظام المعرفي الإسلامي، قد تكون هي الأخرى عرضة الاهتزاز والذوبان. ولذلك نؤكد مرة أخرى على تأسيس أكثر تماسكًا لهذه الرؤية يكون من داخل خطاب مؤسسها ﷺ ونفعنا بعلمه.

ومن المواضيع التي نراها قد تسهم كثيرًا في إبراز منهج التعامل مع القرآن إنتاجًا للمعنى القرآني، والتي لم تتسع هذه الورقة لاستيعابها وبحثها -نظرًا لطبيعتها والمساحة المسموح بها-:

- **فكرة لسان القرآن: التي تؤكد على** تميز لسان القرآن عن اللسان العربي؛ كون أن لغته وأساليبه وتراكيبه، ليست مجرد لسان عربي، بل هو لسان له أساليبه الخاصة، وتراكيب تميزه، ومفرداته المستقلة التي تستوعب دلالات الكلمة في عصر التنزيل وتتجاوزها نحو دلالات أعلى.
- **محورية مقاصد القرآن عند العلواني وبيان المعنى القرآني: فالعلواني حاول** تأسيس نظرية مقاصدية جديدة تتجاوز علم المقاصد التقليدي، وهي مقاصد قرآنية كلية ومُهيمِنَة وشامِلة، مُنبَثِقة من خصائص الشريعة. يرى طه أنها تكسر احتجاب النص عن العالم، وتعمل كوسيط بين

(34) العلواني، طه جابر، نحو موقف قرآني من النسخ، (ص/ 48).

عالم الإنسان: غيبه ومجتمعه وأمته وذاته، وبين كلام الله عنهم. لذلك نعتقد أنها موضع مهم جدًّا يتأسس عليه تجديد العلواني لمنهج التفسير.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- **أفلا يتدبرون القرآن معالم منهجية في التدبر والتدبير**، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، 2010م.
- البقاعي، برهان الدين، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، الرياض، مكتبة المعارف، 1987م.
- **تفسير القرآن بالقرآن**، مكتب الأردن عمان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي فرجينا، 2021م.
- دراز، محمد بن عبد الله، **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**، دار القلم للنشر والتوزيع، 2005م.
- العلواني، طه جابر، **التوحيد والتزكية والعمران محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة**، لبنان، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2003م.
- العلواني، طه جابر، **لماذا إسلامية المعرفة؟** مجلة إسلامية المعرفة، العدد الأول، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995م، غير مرقم.
- **نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه**، القاهرة، دار السلام، 2010م.
- **نحو موقف قرآني من النسخ**، كتاب متوفر على النت بدون دار نشر ولا البلد، 2006م.
- **النسخ ليس تحريفا للقرآن**، إسلامية المعرفة، عدد 46-47، خريف 2006م.
- هيئة التحرير، مجلة الكلمة، **القرآن الكريم والقراءات المعاصرة مع طه جابر العلواني**، عدد 71، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، لبنان، 2011م، 128-152.
- **الوحدة البنائية للقرآن المجيد**، القاهرة، مكتبة الرشق الدولية، 2006م.

Arabic reference

Al-Qurʾān al-Karīm

- Afa-lā yatadabbarūna al-Qurʾān Maʿālim manhajīyah fī al-tadabbur wa-al-tadbīr, al-Qāhirah, Dār al-Salām lil-Ṭibāʿah wa-al-Nashr, 2010.
- Al-Biqāʿī, Burhān al-Dīn, Maṣāʿid al-naẓar lil-ishrāf ʿalá Maqāṣid al-suwar, al-Riyāḍ, Maktabat al-Maʿārif, 1987.
- Tafsīr al-Qurʾān bi-al-Qurʾān, Maktab al-Urdun ʿAmmān, al-Maʿhad al-ʿĀlamī lil-Fikr al-Islāmī frjynā, 2021.
- Darāz, Muḥammad ibn ʿAbd Allāh, al-Nabaʾ al-ʿAẓīm Naẓarāt jadīdah fī al-Qurʾān al-Karīm, Dār al-Qalam lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ, 2005.
- Al-ʿAlwānī, Ṭāhā Jābir, al-tawḥīd wa-al-tazkīyah wa-al-ʿumrān muḥāwalāt fī al-kashf ʿan al-Qayyim wa-al-maqāṣid al-Qurʾānīyah al-ḥākimah, Lubnān, Dār al-Hudá lil-Ṭibāʿah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʿ, 2003.
- Al-ʿAlwānī, Ṭāhā Jābir, Li-mādhā Islāmīyah al-Maʿrifah? Majallat Islāmīyah al-Maʿrifah, al- Issue: 1, al-Maʿhad al-ʿĀlamī lil-Fikr al-Islāmī, 1995, ghayr mrqm.
- Naḥwa Mawqif Qurʾānī min Ishkālīyat al-Muḥkam wa-al-mutashābih, al-Qāhirah, Dār al-Salām, 2010.
- Naḥwa Mawqif Qurʾānī min al-naskh, Kitāb mtwfr ʿalá alnt bi-dūn Dār Nashr wa-lā al-Balad, 2006.
- Al-naskh laysa ṭhryfā lil-Qurʾān, Islāmīyah al-Maʿrifah, Issue: 46-47, Khurayyif 2006.
- Hayʾat al-Taḥrīr, Majallat al-Kalimah, al-Qurʾān al-Karīm wa-al-qirāʾāt al-muʿāṣirah maʿa Ṭāhā Jābir al-ʿAlwānī, Issue: 71, Muntadá al-Kalimah lil-Dirāsāt wa-al-Abḥāth, Lubnān, 2011, 128-152.
- Al-Waḥdah al-bināʾīyah lil-Qurʾān al-Majīd, al-Qāhirah, Maktabat al-Rashq al-Dawlīyah, 2006.